

تمهيد

سنقدم في هذا الفصل رؤية سوسيولوجية لظاهرة الإرهاب اعتمادا على المنظور السوسيولوجي الذي أسسه عالم الاجتماع الألماني أولريش بيك الذي تحدث عما أسماه بـ : " علم اجتماع الخطر ". حيث سنركز في هذا القسم من الدراسة على كيفية تشكيل الإرهاب خطرا على البناء الاجتماعي من خلال الآثار التي يخلفها في المجتمع وتلك الآثار هي بدورها تصبح خطرا على البناء الاجتماعي مستقبلا .

إذا كان الفقر والحرمان الاقتصادي والامية وغياب الوعي السياسي مثلا هي من بين العوامل المساهمة في خلق الإرهاب، فإن انتشار هذه الظاهرة في أي مجتمع سيفاقم تلك المشكلات التي ساهمت في خلق الإرهاب، وهذا على عكس الأهداف التي يضعها الإرهابيون والتي من بينها محاولة تغيير الأوضاع السيئة التي كانوا يعانون منها والتي كانت من بين الأسباب التي دفعتهم للانضمام للجماعات الإرهابية، فهم بذلك يدخلون المجتمع في معاناة أخرى ستقود إلى خلق أفراد ناقلين على أوضاعهم وسيتخذون من الإرهاب وسيلة لتغييرها وهكذا يتجدد الإرهاب وهذا ما سنحاول تناوله بالدراسة في هذا الفصل .

2- رؤية سوسيولوجية للخطر الإرهابي على المجتمع

2-1 الإطار النظري للدراسة

سنحاول من خلال هذا العنصر تقديم رؤية أورليش بيك مؤسس علم اجتماع الخطر وأتباعه لظاهرة الإرهاب في المجتمع .

1-1-2 الخطر، السمة الرئيسية للمجتمع الإنساني المعاصر أو "مجتمع الخطر" حسب أورليش بيك وأتباعه

في وقت سابق أطلق الفيلسوف الألماني المعروف "فردريك نيتشة" عبارته الشهيرة "عش في خطر!"، في معرض استقزاز البشر لكي يخرجوا عن قاموس حياتهم البيروقراطية المملة، ويتغلبوا على العادات والممارسات التقليدية، سعياً وراء إطلاق طاقات الإبداع الكامنة في كل واحد منهم. ولم يدرك نيتشة أن عبارته هذه قد أصبحت عنواناً مثيراً للمجتمع الإنساني كله في الوقت الحاضر، الذي يطلق عليه الآن "مجتمع الخطر"⁽¹⁾

"مجتمع الخطر" في اللغة العربية هو مصطلح مركب من كلمتين: مجتمع وخطر، والخطر يحتمل في اللغة معنيين، الأول: معنى ارتفاع القدر فيقال خطر بمعنى صار عالي المقام، والمعنى الآخر لكلمة خطر فهو: "الإشراف على هلكة".

كما يعرفه لاروس الصغير: "هو إمكانية أو احتمال فعل حادث فيه أذى أو ضرر"، وحسب المعنى المقصود لدينا في هذه الدراسة وهو المعنى الثاني أي الإشراف على هلكة أو احتمال فعل حادث فيه أذى أو ضرر، فيصبح لدينا مفهوم لمجتمع الخطر هو المجتمع الذي يشرف على الهلاك، وهذا بالذات ما يتوافق مع الوصف الذي قدمه "أورليش بيك" "ULRICH BECK" بأن وصفه من خلال الموقف الذي يمكن أن ينتج أقل قرار فيه أخطر كارثة". وكما عرفه Rober Castel في كتابه "اللاأمن الاجتماعي": "مجتمع الخطر هو مجتمع الكارثة أين تكون فيه الحالة الاستثنائية تهدد بأن تصبح حالة عادية". فكلما تهدد وكلمة

(1) السيد ياسين ، مجتمع الخطر ودورة الخوف ، <http://www.mokarabat.com/m735.htm>

الكارثة كلها توحى بالخوف والهلاك وباختصار فالمصطلح في مجمله يشير إلى مجتمع اللأمن⁽¹⁾.

و"مجتمع الخطر" مفهوم صاغه أساساً عالم الاجتماع الألماني "أورليش بيك" في كتاب له نشر بالألمانية وترجم إلى الفرنسية منذ سنوات. وهو يتحدث عن الخطر باعتباره السمة الرئيسية للمجتمع الإنساني المعاصر، بعد اختفاء الأمن النسبي. ومصادر الخطر متعددة في الواقع، ولعل أبرزها على الإطلاق التلوث الذري. ويمكن أن يكون نموذجاً بارزاً له انفجار مفاعل "تشيرنوبل" في أوكرانيا في الاتحاد السوفيتي سابقاً عام 1986 م مثلاً صارخاً على ذلك، والذي أثار الرعب في العالم كله، بحكم انتشار مفاعلات ذرية شبيهة في عديد من البلاد.⁽²⁾ إن جميع من كانوا يقطنون قرب موقع "تشيرنوبل"، بصرف النظر عن العمر أو الطبقة أو الجنس أو المكانة الاجتماعية، قد تعرضوا لمستويات خطيرة من الإشعاع، كما أن آثار الحادث امتدت في الوقت نفسه إلى ما هو أبعد من منطقة "تشيرنوبل" نفسها، وانتشرت درجات من الإشعاع في أوروبا بعد زمن طويل من وقوع الانفجار، إن كثيراً من الأخطاء المصنعة، ولاسيما في ميادين الصحة والبيئة، تتجاوز حدود البلدان وتتعدى النطاق القومي.⁽³⁾

أورد "كاستيل" فكرة هامة حول موضوع مجتمع الخطر وهي الفكرة المتعلقة بكون مجتمع الخطر هو مجتمع الكارثة أين تكون فيه الحالة الاستثنائية تهدد بأن تصبح حالة عادية. إن كلام "كاستيل" على قدر عالي من الصحة،

(1) شفيقة سرار، مجتمع المخاطرة والأمن الاجتماعي في الوطن العربي، ملتقى دولي حول مجتمع المخاطرة، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية، جامعة جيجل، 04 - 05 - ماي 2009 م، ص 54.

(2) السيد ياسين، مجتمع الخطر ودورة الخوف، <http://www.mokarabat.com/m735.htm>

(3) أونطوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005م، ص 143.

كون المجتمعات المعاصرة أصبحت تتكيف مع الخطر الناجم عن الكوارث التي تصيبها من مختلف الجهات .

إن مثل هذه الوضعية الراهنة هي في حد ذاتها خطر، لأن التعامل مع هذه المخاطر – والتي من المفروض تمثل حالة استثنائية كما سماها " كاستيل " – وكأنها حالة عادية كما يحدث اليوم فيما يتعلق بالتعامل مع ظاهرة الإرهاب في حد ذاتها وتلك السيناريوهات التي يطلعنا عليها الإرهابيون بشكل دائم وبتطور مستمر وما تخلفه هذه الظاهرة من ضحايا، يشكل خطرا على الوجود الإنساني لأن التأقلم مع مثل هذه الظواهر وعدم الاستنفار لمواجهتها واعتبارها عادية هو الذي ينتج أكبر خطر على البشرية .

ويعتقد عالم الاجتماع الألماني أولريش بيك، الذي كتب كثيرا عن المخاطر، أن هذه الأخطار جميعها قد أسهمت في إقامة ما يسميه " مجتمع الخطر العالمي " . إن التغيير التقني في تقدمه المتسارع يجلب معه أنواعا جديدة من المخاطر التي ينبغي على الإنسان أن يواجهها أو يتكيف معها . ويرى بيك أن مجتمع المخاطر لا يقتصر على الجانبين البيئي والصحي فحسب بل يشمل كذلك على سلسلة من التغيرات المترابطة المتداخلة في حياتنا الاجتماعية المعاصرة، ومن جملة هذه التغيرات: التقلب في أنماط العمالة والاستخدام، تزايد الإحساس بانعدام الأمن الوظيفي، وانحصار أثر العادات والتقاليد على الهوية الشخصية، وتآكل أنماط العائلة التقليدية وشيوع التحرر والديمقراطية في العلاقات الشخصية. ولأن مستقبل الأفراد الشخصي لم يعد مستقرا وثابتا نسبيا كما كان في المجتمعات التقليدية، فإن القرارات مهما كان نوعها واتجاهها أصبحت الآن تحوي على واحد أو أكثر من عناصر المخاطرة بالنسبة إلى الأفراد. إن الإقدام على الزواج مثلا قد أصبح خطوة تشوبها المخاطر نسبيا قياسا على الزواج الذي كان يعتبر في الماضي مؤسسة مستقرة ودائمة طوال العمر.⁽¹⁾

(1) أونطوني غدنز ، مرجع سابق ، ص 143 .

حسب " علي حرب " فإن العالم لن يصير واحداً على الصعيد الثقافي، ولا حتى على الصعيد السياسي. فالعولمة التي يخشى منها الحماة والدعاة تخلق، برأي أحد علماء السياسة " بيار روزنفالون "، وبعكس ما يرى " بودريار "، مجالاً لتشكيل هيئات وقوى ومستويات وآليات تنتج التعدد والتكاثر والتنوع في ما يتعلق بأشكال التمثيل وحرريات التعبير وأدوار الفاعلين والناشطين الاجتماعيين والسياسيين. والشاهد على ذلك أن العولمة المضادة التي تخلقها عولمة أصحاب الأموال والشركات، ليست واحدة اليوم، وإنما هي متعددة المنطلقات، بعكس المعارضة التي كانت سائدة في المجتمع الصناعي، وفي أيام الثنائية القطبية وزمن حركات التحرر لدول العالم الثالث، حيث هيمنت أحادية المرجع والنموذج والحزب والشعار والصوت لنموذج نضالي يستنسخ نفسه ويجري تكراره وتعميمه من بلد إلى بلد ومن حزب إلى سواه ومن منظمة إلى أخرى، المعارضة اليوم هي كتلة تاريخية بقدر ما هي كثرة متكاثرة، إنها واحدة ولكنها مركبة ومتعددة، بل وهجينة، من حيث هوياتها ومرجعياتها واتجاهاتها.

يعتقد " أولريش بيك " أن العولمة هي التي تخلق الأخطار التي يعرفها العالم كالإرهاب الذي ينتشر في العالم ويترك آثارا عديدة ومختلفة تمس جميع جوانب حياة الأفراد في مجتمعاتهم بشكل يجعل الملاحظ للأحداث الراهنة والمتتبع للأوضاع التي يشهدها العالم بصورة متواترة يحاول فهم هذا الواقع الذي لم يسبق أن عرفه الإنسان في الماضي .

تؤدي العولمة إلى نتائج بعيدة المدى وتترك آثارها على جوانب الحياة الاجتماعية جميعها تقريبا، غير أنها، باعتبارها عملية مفتوحة متناقضة العناصر، تسفر عن مخرجات يصعب التكهّن بها أو السيطرة عليها وبوسعنا دراسة هذه الظاهرة من زاوية ما تتطوي عليه من مخاطر على اعتبار أن الإطار النظري الذي تدرج تحته دراستنا هذه يتمثل في علم اجتماع الخطر.

في ضوء هذا التغير في المشهد العالمي الذي يتحول بصورة جذرية وهائلة، لا تعتبر العولمة مجرد امبريالية معاصرة أو ليبرالية جديدة أو هيمنة أميركية، كما أنها ليست مجرد نظام لتسيير السوق العالمية أو كتسليح للثقافة والعقول والأجساد، كما يراها الكثير من المثقفين المذعورين من عصر المعلومة والصورة والشبكة، فذلك تبسيط وتهويل يجعلنا نتغافل عما يحدث ويتشكل في الواقع. لقد أصبح من الضروري التعامل مع العولمة كظاهرة بصفاتها نتيجة للطفرات والانفجارات والتحولات المتسارعة التي تضع المجتمعات البشرية أمام التحديات الكبيرة والخطيرة التي من الوارد جدا أن تستحيل إلى مزيد من الأزمات والمآزق وربما ترجمت مزيداً من الخسائر والكوارث.⁽¹⁾

سوف نتوقف في هذا الخصوص عند أبرز الظواهر والتحولات الجارية التي تولد الأزمات وتخلق كما هائلا من المخاطر التي أصبحت تتهدد البشرية في هذا العصر من خلال المخاطر التي تخلفها على كافة المستويات .

منذ بداية الخلق والإنسان يواجه المخاطر، حيث كانت تأتيه من الطبيعة لذلك حاول السيطرة عليها على مر العصور بمختلف الاختراعات من أجل تطويعها ليتمكن فيما بعد من استغلال خيراتها، ومع مرور الزمن دخلت البشرية حربا مستمرة من أجل امتلاك التكنولوجيا التي وجدت فيها السبيل الناجع للسيطرة على الطبيعة ومن ثم سيطرة الإنسان على الآخر في محاولة لإلغائه من أجل مضاعفة ثرواته، مما خلق صراعا على الملكية وهو ما أحدث توترا في العلاقات الإنسانية، إن مثل هذه الأوضاع تكون قد رسمت حالة من الخوف واللامن ميزت الواقع الاجتماعي العالمي المعاصر .

إن الإحساس باللامن يزداد يوما بعد يوم، فالإنسان أصبح يشعر بالخطر على حياته وعلى قوته ومصدر رزقه، وهذا الإحساس يعتبر من أهم

(1) علي حرب ، عولمة بديلة أم عقل مختلف ؟ ، مجلة المستقبل ، العدد 1558 ، الثلاثاء 30 مارس 2004 م ، بيروت، ص 18 .

تحديات التنمية، وحتى هذه التنمية التي شغلت ولعقود كثيرة عقول المفكرين الاقتصاديين والاجتماعيين والسياسيين تشير إليها بعض أصابع الاتهام، كونها بدلا من أن تؤدي إلى رفاهية الإنسان والمجتمع وتحقيق أمنه، فقد أدت إلى زيادة فقره وبؤسه وانعدام أمنه .

أدى التغير الاجتماعي الناتج أحيانا عن التحديث السريع، والدخول في تجارب تنموية غير ملائمة وغير مكيفة مع واقع وثقافة المجتمعات، كما حدث ويحدث في دول العالم السائرة في طريق النمو ومن بينها الجزائر، إلى انتشار العقلية النفعية والأنانية والفردانية، إذ رغم الوفرة والثروات الهائلة المتوفرة على مستوى العالم، إلا أنه بالمقابل تعاني المجتمعات من سوء توزيع تلك الثروات مما أدى إلى حدوث الأزمات الاقتصادية والاجتماعية الطارئة والمزمنة من تضخم اقتصادي وبطالة وضعف القدرة الشرائية لمحدودي ومعدومي الدخل، فانتشرت بذلك أشكال مختلفة من السلوك الانحرافي في مقدمتها الإرهاب الناجم عن كبت الحريات وكل مظاهر الاضطهاد والتمييز.⁽¹⁾

أصبح الإرهاب من الظواهر الخطيرة التي أدت إلى زيادة الخطر على الأمن الإنساني، إذ تعدى مرحلة المحلية وانتقل إلى العالمية بحيث أصبح إرهاباً "معوّلاً"، يضرب ضرباته في واشنطن ومدريد ولندن، وكذلك في طابا وشرم الشيخ والجزائر وحتى في السعودية . هذه الفكرة سنفرد لها قسما هاما من هذه الدراسة حيث سنوضح كيف أن الإرهاب يمثل مصدرا من مصادر الخطر على المجتمع العالمي المعاصر، وهذا ما تحدث عنه عالم الاجتماع الألماني " أولريش بيك " أول من أسس لما أصبح يسمى فيما بعد " علم اجتماع الخطر " .

يواجه البشر في العادة أنواعا من المخاطر، غير أن ما يواجههم اليوم يختلف نوعيا عما صادفوه في الماضي . لقد تعرضت المجتمعات البشرية إلى

1) Brongniart Philippe.

L'Etat providence face à la mutation des risques sociaux

<http://www.fondapol.org/les-travaux/toutes-les-publications/publication/titre/letat-providence-face-a-la-mutation-des-risques-sociaux.html>

- mardi 18 septembre 2007

عهد قريب إلى المخاطر الخارجية، مثل : الزلازل ، المجاعات ، العواصف، وكلها ناجمة عن العوامل الطبيعية التي لا علاقة لها بالفعل الإنساني. بيد أننا نواجه اليوم أنواعا جديدة ومتزايدة من المخاطر المصنعة – أي مصادر الخطر الناجمة عما لدينا من معرفة وتقانة وأثر الجمع بين هذين العنصرين على عالم الطبيعة حولنا، وتعتبر المخاطر البيئية والصحية التي تتعرض لها المجتمعات المعاصرة من أبرز الأمثلة على المخاطر المصنعة الناجمة عن تدخل البشر في العالم الطبيعي. (1)

يعتبر الخطر البيئي من بين مظاهر مجتمع المخاطرة الأكثر والأشد خطورة وتهديدا للبشرية جمعاء وخاصة دول العالم النامي، الذي تسببه النفايات النووية وغيرها من السموم الناتجة عن التكنولوجيا والصناعات الغربية، إن التغيرات التي تتعرض لها البيئة تتطوي على مضاعفات بالغة الخطورة بالنسبة لجميع حقوق البشر، فحقوق العمل مهددة بالمواد الكيميائية السامة وبمواد جديدة وبالنفايات، حقوق الخدمات الصحية مهددة بالتلوث والكوارث الشبيهة بكارثة تشيرنوبيل، وما من أحد يستطيع تجنب آثار زيادة حرارة كوكب الأرض، ومن شأن الآثار الفعلية للنظم الاقتصادية أن تسخر من عقلانيتها المزعومة وأن تؤدي إلى تجريدنا من حقوقنا. (2)

إن المخاطر الإيكولوجية البيئية تواجهنا في عالمنا المعاصر بصور مختلفة ويساور الأوساط العلمية قلق متزايد من الاحتباس الحراري وآثاره على الغلاف الجوي للأرض، وقد تبين في السنوات الماضية أن حرارة الأرض آخذة بالتزايد بفعل احتباس الغازات الضارة داخل الغلاف الجوي، وينطوي الاحتباس الحراري على نتائج مدمرة حيث إذا استمر غطاء الثلج القطبي بالذوبان على نحو

(1) شفيقة سرار ، مرجع سابق ، ص 54 .

(2) فرانك جي ليتشر وجون بولي ، العولمة، الطوفان أم الإنقاذ ، ترجمة: فاضل جتكر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص 339.

ما يفعله الآن، فإن مستوى سطح البحر سيرتفع وقد يجلب الخطر ويلحق الضرر بالتجمعات السكانية البشرية الواقعة في المناطق المنخفضة كما يجري الحديث عن التغيرات في أنماط المناخ باعتبارها أسبابا محتملة للفيضانات الكاسحة التي غمرت مناطق واسعة في العالم مثل كارثة " تسونامي " ، والفيضانات والزلازل التي شهدتها الجزائر .

لقد اكتشف العلماء على سبيل المثال أن ارتفاع نسبة التلوث قد أسفرت عن عواقب وخيمة وإلحاق أضرار جسيمة بتجمعات طيور البطريق في المناطق القطبية، غير أن من المتعذر تحديد مصادر هذا التلوث المؤكدة أو التكهن بآثاره على هذه الطيور في المستقبل، وفي هذه الحالة، وفي مئات من الحالات المماثلة ، فإن من المستبعد وضع الخطط أو اتخاذ الإجراءات الكفيلة بالتعامل مع هذا الخطر لأن الأسباب والنتائج المحتملة كليهما غير معروفة بصورة مؤكدة حتى الآن، إن ظاهرة الاحتباس الحراري، وانتشار أمراض من نوع جنون البقر، والجدل القائم الآن حول الزراعة المعدلة جينيا قد بدأت تطرح كلها مجموعة من الخيارات والتحديات الجديدة أمام الناس، وبدأ الأفراد والجماعات والمؤسسات المتعدية الجنسية تتخذ سلسلة من المبادرات والحملات الفردية والجماعية لمواجهة مثل هذه المخاطر المحتملة . (1)

لم يعد العالم كما كان عليه بعد ثورة الاتصالات والمعلومات، سواء في مشهده ونظامه أو في قواه وقيمه أو في مفاهيمه وأدواته ووسائطه. إننا ندخل في عصر كوني جديد يظهر فيه على المسرح فاعلون جدد، أبرزهم العاملون في

(1) أونطوني غيدنز ، مرجع سابق ، ص - ص 141 - 142 .

مجالات تقنية المعلومة، والإعلاميون الذين يشتغلون في إنتاج الصورة وصناعة المشهد. إنه عصر متعدد اللغات والمجالات، متراكب الأنظمة والمستويات، إذ هو متسارع بقدر ما هو الكتروني، وهو رقمي بقدر ما هو تقني، وأخيراً وخاصة فهو كوكبي لأنه يلغي الحواجز بين الدول والمجتمعات، بقدر ما يفتح الحدود بين البشر، ليس فقط الاقتصادية والمالية، بل أيضاً الثقافية والمعرفية والرمزية والخلقية والأمنية.

يمكننا القول أن العالم اليوم قد تحول إلى سوق مالية واحدة والدليل على ذلك الأزمة العالمية الأخيرة التي شهدتها عام 2009 م وانعكاساتها المتسارعة على كل نقطة من هذا العالم المترامي الأطراف، كما تحول إلى قرية إعلامية مشتركة، بل وحتى إلى مجال أمني واحد. ولا مرء أيضاً أن لهذا التغيير في نمط الإنتاج والاتصال والتداول، كما يتمثل في الانتقال من الإنتاج الميكانيكي والسلع الثقيلة إلى الإنتاج الإلكتروني والسلع الافتراضية، إنما يترك أثره القوي على مختلف وجوه النشاط البشري كما على بنية الثقافة ومنتجاتها وعلى مكانة النخب الثقافية ومهامها.

من بين أهم المخاطر التي تهدد الوجود البشري تلك المخاطر المصنعة المتمثلة في الأخطار البيئية الطبيعية، حيث كان من نتائج التسارع في التنمية الصناعية والتقنية أن تزايد التدخل البشري في الطبيعة، ولم تبق إلا جوانب قليلة من الطبيعة لم يمسهما التدخل البشري الذي اشتمل حتى الآن على مجالات النمو الحضري والإنتاج والتلوث الصناعي والمشروعات الزراعية الضخمة، وبناء السدود، والمصانع المائية، وبرامج تطوير الطاقة النووية، وتضافرت نتائج هذه العمليات، بمجموعها، لنشر الدمار في البيئة، ولأسباب يصعب تبينها وبواقب يتعذر حسابها بصورة مسبقة.⁽¹⁾

⁽¹⁾ Société du risque - Quelles réponses politiques?, Sébastien Brunet
<http://www.decitre.fr/livres/Societe-du-risque.aspx/9782296030046>, 01/03/2007

إن مجتمع اليوم هو مجتمع المخاطرة يعاني من مشاكل مروعة من حوادث الطرقات إلى الجريمة بكل أنواعها من قتل وسرقة وجرائم جنسية إلى مشكلة الإدمان على المخدرات وجميع السموم، وفساد الأغذية، وانتشار الأمراض والأوبئة، وتلوث البيئة ومشكلات البطالة والفقر وغيره من ظواهر باثولوجية خطيرة تهدد أمن المجتمع بكل فئاته حتى تلك المصنفة في قمة السلم الاجتماعي حيث انتشر الخوف والقلق لدى الجميع على حاضرهم ومستقبلهم. (1)

يعتقد " بيك " أن الإنسان يحتاج إلى إمكانيات خاصة وضرورية من أجل البقاء في عصر العولمة فهو يحتاج إلى تعليم ويحتاج إلى ضمانات حياتية ومواقع شغل وتأمينات اجتماعية، هذه الشروط قد يغدو في ظلها من الممكن التفاعل مع علاقات يمثل هذا التعقيد، أما إذا ما كانت هذه الشروط غير مضمونة فإن العملية ستكون صعبة. (2)

كما أن المخاطر تكتنف، وإن إلى حد أقل، خيارات وقرارات أخرى تتصل بالموهلات التربوية والتعليمية، وبالمسارات الوظيفية والمهنية حيث من الصعب التكهن بطبيعة المهارات والخبرات العملية في مجالات الاقتصاد المقبلة المتغيرة على الدوام، ويرى " أولريش بيك " أن جانباً مهماً من مجتمع المخاطرة يتمثل في أن الأخطار تنتشر وتبرز بصرف النظر عن الاعتبارات المكانية والزمانية والاجتماعية . إن مخاطر اليوم تؤثر في جميع البلدان والطبقات والبناءات الاجتماعية، وتكون لها آثار شخصية وعالمية في الوقت نفسه. (3)

فمن حيث العلاقة بالزمان ما يحدث هو أن تدفق المعلومات، هذه المخلوقات الجديدة، جراء البث الفوري في الزمن الآني، زمن الضوء، والعمل الافتراضي من على مسافات بعيدة، إنما يجعل كل شيء رهنياً أو مؤقتاً بانتظار الطارئ أو المفاجئ من الرسائل والمعطيات المتغيرة باستمرار، بحيث إن ما

المحدودة إلى الموارد المعلوماتية اللامتناهية، ومن نظام الملكية والسوق المركزية إلى نظام الخدمة والشبكة الإلكترونية.

تتشكل اليوم فئة جديدة هي العاملة في الحقل الإعلامي وعمال المعلومة الذين يردمون الهوة بين العمل الفكري والعمل اليدوي. ولكن للمسألة وجهها الآخر، بمعنى أن لامحدودية الموارد هي سيف ذو حدين: قد تصنع ثراءً وازدهاراً،

(1) أونطوني غدنز ، مرجع سابق ، ص 143 .

ولكنها يمكن أن تولد تضخماً وفقراً أو نهباً وفساداً، وهو ما تشهده التجارة الإلكترونية القائمة على نقل المعلومات، وسبب ذلك أن التجارة هي قطاع يعتمد أساساً على ما تنتجه القطاعات الأخرى من السلع والمواد، فإذا ما تضخم هذا القطاع على حساب سواه، خاصة على حساب المنطق الصناعي، فذلك يعني أن تجني أرباحاً خيالية من غير عمل منتج. فكيف إذا كان الأمر يتعلق بغلبة تجارة السلع الإلكترونية، عندها يتضاعف الربح الوهمي والثراء الافتراضي على نحو يترجم مزيداً من التضخم والنهب والفساد، ولعل هذا ما يفسر الانهيارات المالية التي عرفتتها الشركات الأميركية في عام 2002.

مع الدخول في العصر الإعلامي نشأت معطيات جديدة تغيرت معها صناعة الرأي العام بقدر ما تغير شكل المصادقية والمشروعية السياسية. لم يعد الكتاب أو النواب وحدهم يصنعون الرأي العام أو يمثلونه، وإنما أصبح الإعلام المرئي بقنواته وشبكاته وبرامجه ورجالاته وصوره يسهم أيضاً في صناعة المشهد وفي تشكيل الفضاء العمومي الذي لم يعد حكراً على الساسة والمتقنين

والدعاة، إنما أصبح مجالاً تداولياً، بوسع الفاعلين الاجتماعيين على اختلاف قطاعاتهم وحقول علمهم، أن يساهموا في تشكيله وتوسيعه بالمداخلات عبر المناظرات التلفزيونية والمناقشات العلنية من على الشاشات، مثل هذا الواقع الجديد يساهم في تفاقم أزمة الديمقراطية التمثيلية بهيئاتها ومؤسساتها وآلياتها التي تشهد الآن على قصورها عن استيعاب التحولات الاجتماعية التي طرأت على علاقات البشر السياسية والسلطوية.

إذا كنا نعيش في مجتمع المشهد، فإن هذا المجتمع هو في وجهه الآخر هو مجتمع الصور التي تغزو البيوت والعقول، عبر الشاشات والقنوات، خاصة الصور التلفزيونية الحية والناطقة، وبشكل أخص الصورة الافتراضية التي تشكل اليوم ثورة في مجالها، من حيث حركتها وسرعتها، أو من حيث كلفة إنتاجها القليلة، أو من حيث القدرة على التلاعب بها عبر تفكيكها وإعادة تركيبها، لإنتاج ما لا يتناهى من الأشكال والألوان والأبعاد، هذا ما يتيح تخزين العالم بكل صورته، بقدر ما يتيح مضاعفته بخلق ما لا يتناهى من العوالم الافتراضية الموازية. هذه إمكانية خارقة لا سابق لها من قبل، فالصورة لم تعد مرآة الواقع أو أدواته، وإنما تشكل هي نفسها واقعاً جديداً أصبح هو الأساس في إدارة الواقع وتسيير العالم .

من نتائج الثورة الرقمية والتقنية أنها تدخلنا في نمط جديد من أنماط الحياة بقدر ما تجعلنا ننخرط في موجة جديدة من موجات الحداثة وما بعدها يسميها البعض الحداثة الفائقة أو ما فوق الحداثة، ومن سماتها أنها تصدع السقف الرمزي للهويات وتفكك أنظمة المعنى بقدر ما تولد التنوع والاختلاط والتهجين في المرجعيات وفي أساليب العيش كما في المنتجات والأدوات.⁽¹⁾

1) Ewald Francois , La Société du risque . risque et politique .

—<http://www.canal>

, u.tv/themes/droit/sciences_politiques/la_societe_du_risque_risque_et_politique

(220/10/2000)

تنتهي وثيقة " تخطيط المستقبل الكوني " التي أعدتها منظمة أمريكية تقوم بدراسة استشرافية بسيناريو افتراضي، أطلقت عليه "دورة الخوف". ويحاول هذا السيناريو استكشاف ما الذي يمكن أن يحدث لو تزايد انتشار أسلحة الدمار الشامل، وما هي احتياطات الأمن التي يمكن اتخاذها.

إذا كان يمكن للدول أن تكافح تجارة السلاح غير المشروعة، فإن مكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل تبدو بالغة الصعوبة. ومرد ذلك إلى أنه إذا انتشرت أسلحة الدمار الشامل، فإن دولاً متعددة قد ترى ضرورة أن تتسلح بها لكي تدافع عن نفسها، وهكذا تزيد دائرة عدم الأمان في العالم⁽¹⁾. هكذا تحدثت وثيقة "تخطيط المستقبل الكوني" . ولو نظرنا إليها بصورة نقدية لقلنا إنها حاولت أن تستند إلى عدد من المؤشرات الكمية والكيفية من خلال منهج استشرافي لكي تتصور حالة العالم عام 2020.

تطرح علينا كثير من التغيرات الناجمة عن العولمة أشكالاً جديدة من الخطر، تختلف اختلافاً بينا عما ألفناه في العصور السابقة، لقد كانت أوجه الخطر في الماضي معروفة الأسباب والنتائج، أما مخاطر اليوم فهي من النوع الذي يتعذر علينا أن نعدد مصادره، وأسبابه، أو نتحكم في عواقبه اللاحقة. ففي حقيقة الأمر أن العولمة بما تحمله من أفكار وسياسات وممارسات تؤكد بما لا يدعو للشك أننا والعالم أجمع أمام مجتمع خطر، ففكرية مجتمع الخطر لصاحبها الألماني: أولريش بيك Ulrich Beck تشير إلى أن: «كلمة خطر أوسع من الخطر التكنولوجي، ولكنه يضع في نفس الخط كل ما يمكن أن ينتقد من أخطار صناعية (في الإشارة إلى التحديث الانعكاسي)، شكوك وعدم تأكد علمي (أخطار علمية) واللاأمن الاجتماعي (خطر الفردانية)». ⁽¹⁾

فالعولمة وإن كانت تعكس مظهرا من مظاهر التطور الحضاري الذي يشهده القرن الواحد والعشرون فإن محتواها الأيديولوجي يعبر مباشرة عن السلوك المفروض من الرأسمالية الغربية وعلى رأسها الرأسمالية الأمريكية للهيمنة على العالم، إذ حسب حسنين هيكل: " أننا أمام مجتمع ملئ بروح المخاطرة، جاهز لاستعمال القوة، عملي في استعمالها لتحقيق مصلحته بغير رادع من أي نوع ثم إنه مجتمع غني وافر الغنى، وقد مكنه ذلك الغنى من أن يسبق ويتفوق" (2).

1) Natalie Beau: L'émergence d'une société Nouvelle ,

<http://www.parution.com/pages/1-6-63-3963htm/consulté le:22/02/2009>.

(2) محمد الأطرش وآخرون: العرب وتحديات النظام العالمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص322.

لهذا ذهب: إميليو مارديني **Emilio mardini** للقول بأن: " شدة الخطر عالميا تسمو بكل الفروق الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية لمجتمع المخاطرة للوصول إلى مجتمع الأمن". (1)

إن العصر الذهبي الموعود حسب المؤيدين للإصلاحات يعني حلول ثقافة الشفافية محل ثقافة الضبابية، وحلول عهد الوفرة والرخاء والتشغيل الكامل واستقرار الأسعار والتنمية المستدامة، محل عهد الندرة والبؤس والتضخم والتخلف، وحلول عصر الحريات وحقوق الإنسان... وحلول مجتمع العلم والمعرفة والابتكار والانفتاح والتقدم والريادة والمبادرة محل مجتمع الظلامية والجهل والانتكال على الغير وعلى الدولة، وحلول حضارة السلم والاستقرار والتعاون بين الشعوب محل حضارة الحرب والدمار والحصار والحماوية والانتكفاء على الذات. (2)

هكذا ثمة مجتمع جديد يتشكل هو "مجتمع المخاطرة"، كما يسميه أولريش بيك، أحد المهتمين بقراءة أثر التحولات الراهنة على الروابط الاجتماعية وهو موضوع بحثنا حيث سنتناول بالدراسة أثر الإرهاب على الروابط داخل المجتمع الجزائري المعاصر . وفي مجتمع المخاطرة يتكون نظام للعمل بل نمط

للحياة أمسى نظاماً للطوارئ، وعلى نحو يجعل المرء على عجلة من أمره أو في سبق متواصل على نفسه، أي على أهبة الاستعداد الدائم لاستقبال أو معالجة تغير المعطيات أو انقلاب المعادلات أو استنفاد الوسائل والأدوات.

1) Emilio Mordini: **de la société du risque à la société de la sécurité:**

<http://www.cssc.eu/public/lasoci et eclurisque.pdf> consulté le:25/02/09.

(2) طاهر حمدي كنعان وآخرون: **هموم اقتصادية عربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص ص 210-211.

2-1-2 الخطر الإرهابي وحالة " الخوف " في المجتمع

تحدث أولريش بيك وأتباعه عن الإرهاب باعتباره مصدرا من مصادر الخطر لما يخلفه من مخاطر كثيرة تلحق بالبناءات المختلفة للمجتمع . حيث يعتبر الإرهاب سلوكا ينتهجه بعض الأفراد تجاه بقية أفراد المجتمع، نتيجة إحساس يسيطر عليهم بأن الآخرين على خطأ وأنهم فقط هم الذين على صواب، ولا يكتفون بهذا الشعور، بل يترجمونه إلى أفعال عدوانية تقودهم إلى تدمير ما على الأرض، بما في ذلك تدمير أنفسهم . فالإرهاب في مخيلة الأكثرية من الناس هو

عمليات القتل والتدمير التي يقوم بها أفراد أو جماعات من وقت لآخر. أما الإرهاب في معناه الأشمل فهو بالإضافة إلى عمليات القتل والتدمير ما يقف وراء هذه العمليات من أفكار وتصورات حول ماضي وحاضر ومستقبل هذا الكون بأسره ودور الفكر الإرهابي بخاصة في حشد أكبر عدد من الناس ضد العلاقات السائدة والقائمون عليها بل والمتصالحين معها.⁽¹⁾

إن الأحداث الأمنية المتفاوتة الخطورة التي عرفتها العشر سنوات الأولى من الألفية الثالثة كلها تدل على أن شروط الإرهاب لا تزال قائمة، وتحاول تجديد نفسها وآليات حضورها، ولم تستطع أن تحد منها نهائياً المقاربة الأمنية فمن سلسلة المحاولات لزعة الاستقرار الأمني في بداية التسعينيات في الجزائر – التي عرفت مرحلة طويلة من الإرهاب الدموي و الذي يعد ضحاياه بعشرات الآلاف – وصولاً إلى أحداث العاصمة الجزائرية حيث السيارات المفخخة والانفجارات الدموية الرهيبة وآخرها التي وقعت يوم الأربعاء 11 أبريل 2007 مخلفة عشرات الضحايا.

كل ذلك ينم عن ملامح حرب دينية تتشكل في هذا العالم وليس في الجزائر فحسب هدفها الاستيلاء على السلطة وإقامة الدولة الدينية (الثيوقراطية) والأوتوقراطية نموذج دولة (طالبان). وتتفاوت هذه القوى المحركة لهذه الحرب من حيث العنف والقوة والتنظيم من بلد إسلامي إلى آخر حسب ظروف كل بلد وشروط بروز وتشكل تلك القوى الإرهابية، المسماة بالجماعات التكفيرية أو

(1) حمد الباهلي ، المسافة بين الإرهاب الكامن والإرهاب ،

الجهادية أو الظلامية أو الجماعات الدينية أو جماعات الإسلام السياسي أو تنظيمات القاعدة الأمر الذي يخلق حالة من الخوف في المجتمع العالمي.⁽¹⁾

اهتمت وثيقة " تخطيط المستقبل الكوني " الأميركية بهذا الموضوع وناقشته في فقرة بعنوان "انتشار الشعور بعدم الأمن". وقد ذهبت الوثيقة إلى أنه سيكون هناك شعور متزايد بعدم الأمن حوالي عام 2020، وقد يرد هذا الشعور إلى أسباب نفسية، كما قد يرد إلى وقوع هجمات إرهابية فعلية. والأسباب النفسية لعدم الأمن قد يكون من بين عواملها القلق على استقرار الوظائف، بالإضافة إلى المخاوف في المجتمعات المضيفة للمهاجرين من دول وثقافات أخرى من منافستهم لأبناء البلاد الأصليين في سوق العمل.

ومما لا شك فيه أن الإرهاب والصراعات الداخلية في الدول يمكن أن تؤدي إلى اضطراب في مسيرة العولمة، وذلك من خلال زيادة تكاليف توفير الأمان للتجارة الدولية التي قد تتجم عن زيادة القوات الخاصة بحراسة الحدود، والتأثير السلبي على أسواق الائتمان.

ويرى الخبراء في مجال الإرهاب أن غالبية الجماعات الإرهابية الدولية سيستمر نموها إلى الإسلام الراديكالي المتشدد، كما ستتسع دوائر تأثير هذه الجماعات الإسلامية المتطرفة، سواء داخل الشرق الأوسط أو خارجه، بالإضافة إلى أوروبا الغربية وآسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا، وإحياء المشاعر الدينية المتطرفة سيصاحب اتجاهات التضامن مع المسلمين في مناطق الصراع مثل

(1) المحجوب حبيبي ، ظاهرة الإرهاب الأسس والمنطلقات ،

http://www.iraqi.dk/news/index.php?option=com_content&view=article&id=11
 413:2010-05-15-09-10-10&catid=107:2009-08-03-21-14-41&Itemid=425 م 2007

فلسطين والعراق وكشمير. وترى الوثيقة الأميركية أنه لو حدث انقلاب إسلامي في أحد بلاد الشرق الأوسط، فإن ذلك سيؤدي إلى انتشار الإرهاب في كل المنطقة، مما قد يعطي اليقين لهذه الجماعات بأن حلم استعادة الخلافة قابل للتحقيق.

سيساعد على انتشار هذا المد الإسلامي المتطرف الشبكات غير الرسمية من الجمعيات الخيرية الإسلامية والمدارس الإسلامية، والتي يمكن أن تصبح مصدراً لإنابات عناصر راديكالية، وهناك مؤشرات على أن بعض الحركات الإسلامية المتطرفة والإرهابية تطمح إلى الانقلاب على عدد من الحكومات العلمانية، وتأسيس حكومات إسلامية بدلاً منها.

لا شك أن الحركات المضادة للعولمة، والجهاد المعادية لسياسات الولايات المتحدة الأميركية، يمكن أن تتعاطف - في نظر الوثيقة الأميركية - مع هذه الجماعات الإسلامية المتشددة، وقد التفتت الوثيقة إلى ظاهرة مهمة هي من آثار الثورة الاتصالية وخصوصاً شبكة الإنترنت وانتشار استخدام آلية البريد الإلكتروني، فقد أدى ذلك في مجال التنظيمات الإرهابية إلى عدم حاجتها لبناء جماعات إرهابية مركزية، مما أدى إلى انتشار الخلايا الإرهابية التي تضم عدداً محدوداً من الأشخاص في عديد من البلاد.⁽¹⁾

أصبح الإرهاب العابر للدول صفة مهيمنة على المضمون الأمني للمجتمع العالمي المعاصر، وهذه ليست سمة جديدة في حد ذاتها لكن الجديد هو

(1) السيد ياسين ، مجتمع الخطر ودورة الخوف ، <http://www.mokarabat.com/m735.htm>

درجة اتساعها وكثافة التداخل بين مجموعات العنف، والسهولة النسبية في عولمة نشاطاتها، استنفاداً واستغلالاً للثورة التقنية الراهنة. (1)

استطاعت الجماعات الإرهابية ببراعة منقطعة النظير استخدام الفضاء المعلوماتي في الاتصال ونشر ثقافة الإرهاب وتبادل المعلومات. وقد تؤدي بعض الصراعات الدولية مثل الاحتلال الأجنبي للعراق بكل آثاره السلبية على الشعب العراقي إلى أن تصبح بعض البلاد مثل العراق، أرضاً خصبة لتنمية كوادير الإرهابيين الذين يستطيعون الانتقال بإرهابهم من بلاد إلى بلاد أخرى، وهناك شواهد على أن هناك جماعات من " المجاهدين " ينتمون إلى جنسيات مختلفة، مستعدون للذهاب إلى أي بلد في العالم لـ"الجهاد" ضد أعداء الإسلام، كما أن هناك مخاوف شديدة في البلاد الغربية من احتمال أن يلجأ الإرهابيون الذين ينتمون إلى جماعات إسلامية متطرفة لاستخدام السلاح البيولوجي ضد أهداف مختارة بعناية . (2)

من أكبر الأخطار التي تتهدد العالم الراهن هو إمكانية تعاون الجماعات الإرهابية مع العصابات الإجرامية في دول شتى، وخصوصاً مع تجار المخدرات الدوليين، وعناصر الجريمة المنظمة. وإذا أضفنا احتمالات اختراق العصابات الإرهابية لشبكات المعلومات في البلاد الغربية وتخریبها، فمعنى ذلك أن ما يطلق عليه حرب الشبكات Net war والحروب الفضائية Cyber war سيضاعف من الخطر في العالم.

1) François-Bernard Huyghe , **L'avenir du terrorisme** , <http://www.european-security.com/index.php?id=5197> , Paris , 5 avril 2005.

(2) عبدالجليل زيد المرهون، **الإرهاب من منظور سوسيولوجي**

<http://www.araee.com/modules.php?name=News&file=article&sid=22686>

إذا كان الإرهاب هو كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع، يلجأ إليه الإرهابي تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، بهدف الإخلال بالنظام العام أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر ، فإن فكرة النظام العام فكرة مجردة مؤداها "نظام عام" في الدولة، وهو عبارة عن "نظام المجتمع الأعلى"، وهو متعدد الجوانب من خلقية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وهو حالة تختلف من مكان إلى مكان وهو يعد متغير على مر الزمن، والإرهاب في حالة ما إذا ضرب أي مجتمع فإنه يحدث خلافاً في نظامه العام . تتعرض سلامة المجتمع للخطر إذا كان من شأن استخدام القوة أو العنف أو التهديد أو الترويع تعطيل مظاهر الحياة العادية في الدولة، كما تحدها القوانين واللوائح والأنظمة، مثل عرقلة إقامة الشعائر في مناسبة دينية، أو تعطيل ممارسة الناس حقهم في السياحة أو الاشتغال بالفن مثلاً.⁽¹⁾

يتعرض أمن المجتمع أيضاً للخطر بسبب الإرهاب إذا كان من شأن استخدام القوة والعنف زعزعة السكينة لدى الأفراد في المجتمع، سواء انصب ذلك على أشخاصهم أو أموالهم، من ذلك مثلاً أن يعمل الإرهابيون على إحداث فنتة طائفية، أو اضطرابات بين الطلاب في معاهد علمية مثلاً، أو وضع مواد مفجرة في الأماكن العامة التي اعتاد الناس على ارتيادها، كما يتعرض أمن المجتمع للخطر كذلك في حالة التهديد بحرق الأبنية الدينية غير الإسلامية مثلاً، أو الاستيلاء على أموال غير المسلمين بحجة أنها ليست حلالاً واستغلالها في القيام بعمليات إرهابية. ويكفي أن يكون من شأن استخدام الإرهاب تعريض سلام المجتمع وأمنه للخطر، فلا يلزم أن يحدث التعريض الفعلي لهذا الخطر.

(1) إبراهيم عيد نايل ، **السياسة الجنائية في مواجهة الإرهاب** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1996 ، ص ص 20، 21.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره، فإن ما يجعل الإرهاب خطراً على المجتمع هو الإضرار باقتصاد الدول، كتدمير منشآتها الصناعية أو التجارية، أو مهاجمة مكاتب الطيران، حتى أن الطائرات لم تسلم من الضربات الإرهابية، ضف إلى ذلك المنشآت السياحية، وهذا بغرض إثارة الذعر والرعب، وإنزال أضرار مادية بتلك المنشآت لأنها تشكل مورداً اقتصادياً، ومصدراً من مصادر الدخل الهامة للدول (1).

إن من شأن الفعل الإرهابي إيذاء الأشخاص أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالاتصالات أو المواصلات أو بالأموال أو بالمباني أو بالأموال العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو منع أو عرقلة ممارسة السلطات العامة أو دور العبادة أو معاهد العلم لأعمالها، أو تعطيل تطبيق الدستور أو القوانين أو اللوائح . كما أنه قانونياً تعتبر جرائم الإرهاب من جرائم الخطر وليس من جرم الضرر، فلا يشترط حدوث ضرر فعلي بل يكفي تعريض المصالح التي أضفى عليها المشرع الحماية الجنائية لخطر الضرر.

يندرج تحت إيذاء الأشخاص كل فعل يمس سلامة جسم الشخص أو صحته، وقد يتخذ صورة القتل أو الضرب أو الجرح، وقد يكون الإيذاء نفسياً أو عقلياً . ومن بين المخلفات التي يتركها الإرهاب في المجتمع هي حالة الرعب التي يخلفها بين الأشخاص، بمعنى إحداث الفزع والخوف في نفوسهم من جراء استخدام صورة من صور الإرهاب كأن تقوم مجموعة إرهابية بتسميم مورد مياه للشرب، أو أن تقوم بوضع مواد متفجرة في وسائل النقل العامة كما عانت من ذلك الجزائر .

(1) أحمد محمد رفعت وصالح بكر الطيار، الإرهاب الدولي، ط 1، مركز الدراسات العربي الأوربي، باريس، 1998م، ص 210 .

يتحقق الإرهاب أيضا إذا كان من شأن استخدام القوة أو العنف، تعريض حياة الأفراد للخطر، أي تعريض حقهم في الحياة وحقهم في سلامة الجسد للخطر . والفارق بين تعريض الحياة للخطر و إيذاء الأفراد أن الأمر في الحالة الأولى لا يتعلق بإيذاء فعلي يتمثل في قتل أو ضرب أو جرح، بل يتمثل في مجرد التهديد باقتراف هذه الأفعال، مثل التهديد بالقتل أو الخطف.

يتحقق الإرهاب إذا كان من شأنه تعريض حريات الأفراد للخطر مثل الحرية الشخصية، حرمة الحياة الخاصة، حرية الإقامة في جهة معينة، حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية، حرية الرأي وغيرها من الحريات التي يقوضها الإرهاب . فالإرهاب يتحقق إذا قامت مجموعة إرهابية بإجبار أحد الأشخاص على اعتناق دين معين أو إقامة الشعائر الدينية كرها، أو إذا قامت بالتعرض لأهل الفن ومنعهم بالقوة أو التهديد بها من القيام بهذا العمل . كما يتحقق الإرهاب كذلك في حالة إكراه الفتيات على ارتداء الحجاب إذا تم ذلك باستخدام القوة أو العنف أو التهديد بهما.

يلحق الإرهاب أيضا أضرارا كبيرة بالاتصالات السلكية واللاسلكية مثل الهواتف وأجهزة الراديو والتلفزيون والأقمار الصناعية، أما المواصلات العامة فهي تلك المتمثلة في السفن والطائرات ووسائل النقل العامة، أما الأموال والمباني والأماكن العامة فهي تلك المملوكة للدولة أو الأشخاص وتكون مخصصة للنفع العام، وقد تكون عقارات وقد تكون منقولات.

كما يمكن أن يلحق الضرر بالأموال أو المباني أو الأملاك الخاصة. كما يتحقق الإرهاب في حالة احتلال المباني أو الأملاك أو الاستيلاء على الأموال، والمقصود بالاحتلال السيطرة على الشيء عنوة . ويؤدي الإرهاب إلى عرقلة السلطات العامة على القيام بأعمالها كالاعتداء على رئيس الجمهورية أو أي مسؤول سياسي أو حتى أحد الموظفين العموميين . أو منع، أو عرقلة دور العبادة لأعمالها وهي الدور المعدة لأداء الشعائر الدينية سواء كانت مسجدا أو

كنيسة أو معبدا. كما يتعرض الأساتذة ومؤسساتهم التعليمية للتهديدات الإرهابية لمنعهم عن مزاوله أدوارهم التربوية (1).

من سمات البيئة الجيوسياسية الراهنة لظاهرة الإرهاب تزواج هذه الظاهرة مع الميول الطائفية، أو بشكل أكثر تحديدا التطرف الطائفي، وفي حالة كهذه، بدا الإرهاب كتعبير رديف لجرائم التطهير العرقي، وحيث يمثل العراق اليوم نمودجه الأكثر تجليا. إن خطورة التزواج بين العنف السياسي والتطرف الطائفي تتمثل في قدرته الفائقة على دفع الدول والشعوب إلى الحروب الأهلية، على النحو الذي شهدته إيرلندا مثلا حتى وقت قريب. (1)

2-2 كيفية تشكل الخطر الإرهابي في المجتمع

2-2-1 تحليل سوسيولوجي لأسباب تشكل الفكر الإرهابي في المجتمع

لا تقوم ظاهرة الإرهاب إلا من أجل تحقيق غايات وأهداف تتنوع وتتباين حسب ما تهدف إليه كل جماعة أو منظمة إرهابية، مستخدمة في ذلك أبشع أساليب العنف والترهيب لتحقيق أهدافها وغاياتها، لذلك فإن أعمال الإرهاب منبثقة من أسباب ودوافع كثيرة، تختلف باختلاف الزمان والمكان وكذا الغاية، وكلها أدت إلى تصاعد العمليات الإرهابية بشكل كبير في كافة أنحاء العالم. وعلى هذا الأساس فإن خلفيات الإرهاب تكمن في الأسباب والمثيرات التي أدت إلى تشكل الفكر الإرهابي في كافة المجتمعات العالمية.

سوف نتناول في هذا الجزء من الدراسة أهم الأسباب المؤدية إلى تشكل الفكر الإرهابي وبالتالي نشوء وقيام الحركات والمنظمات الإرهابية عامة. كتب الكثير عن الإرهاب ومُحفزاته على صعيد الفرد والمجتمع، غير أن القراءة السوسيولوجية لهذه الظاهرة لا يزال يميزها قدرٌ ملحوظٌ من الاختلاف، وإذا كان الإرهاب ظاهرة سوسيولوجية تتطوي على بُعدٍ سياسي بحكم الأمر الواقع، كما بفعل صيرورتها الذاتية، فإن المعالجة العلمية الجادة تستلزم

ضرورة الوقوف على الأبعاد المختلفة للظاهرة قصد الفهم الحقيقي لها. ويمكن الوقوف على ثلاث اتجاهات في المقاربات السوسيولوجية الراهنة لظاهرة الإرهاب:

(1) عبد الجليل زيد المرهون، الإرهاب من منظور سوسيولوجي
<http://www.arraee.com/modules.php?name=News&file=article&sid=22686>

– **الاتجاه الأول:** هو ما يمكن وصفه على نحو مبدئي بالاتجاه التقليدي، وهو الذي يُحيل ظاهرة الإرهاب مركزياً إلى الجذور الأولى لتتشئة الفرد، وهي الأسرة والمدرسة والمحيط القريب، ممثلاً في القرية أو الحي الصغير. كما يُعير هذا الاتجاه درجات متفاوتة من الاهتمام للمؤثرات الإعلامية، المرتبطة أساساً بالشبكات الاجتماعية للفرد والأسرة.

إن تأكيدنا على العامل المجتمعي باعتباره يؤلف في طياته الفرد ثقافته المعقدة المشكلة من العناصر الإيجابية والسلبية والصراع والتنافر والحب والوئام، ولما يغلب الجانب الثقافي العدواني على الفرد فإنه يخرج بسلوكاته الذاتية والمجتمعية عن القواعد الاجتماعية العامة، كما يرى ذلك دوركايم، ويحتمي بقواعد سلبية هدامة للقواعد العامة، أي أن هذا الخروج هو بمثابة المقاومة للعقل الجمعي وتحطيمه، وفرض العقل الفردي العدواني لتكريس السلوكات العدوانية، الهمجية والهدامة، وهو الأمر الذي يقاومه المجتمع بكل نظمه ويحاربه الأفراد للحفاظ على التوازن، وإعادة الاستقرار والتكامل بكل الوسائل والآليات والطرق

وهذا لا يمنع بتاتا تدخل عناصر أخرى في تشكيل شخصية الفرد، ونهجه بسلوكاته عدوانية ضد كل ما هو مجتمعي. (1)

- الاتجاه الثاني: هو الاتجاه السيكو - سوسيولوجي، الذي يركز في معالجته لظاهرة الإرهاب على تحليل البيئة النفسية للفرد، ضمن محيط متداخل الدوائر، يقع مركزه في أكثر المؤثرات قوة وراهنية. وهذا المركز قد يكون بعيداً عن الأسرة، وعن الحي أو المدينة، وربما عن الدولة التي يعيش فيها الفرد، وبالطبع، فإن هذا الاتجاه ليس اتجاهاً سيكولوجياً خالصاً، بل هو اتجاه سيكولوجي اجتماعي،

(1) بلقاسم سلاطينة وسامية حميدي ، أسباب بارزة لظاهرة الإرهاب : " تحليل سوسيولوجي " ، مجلة العلوم الإنسانية ، دورية دولية علمية محكمة ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، العدد 16 ، مارس 2009 م ، ص 104 ، 105 .

وتحديداً، فهو يجد موقعه في علم النفس الاجتماعي. (1)

كثيرا ما يتعرض الشخص الذي من الممكن انضمامه إلى الجماعات الإرهابية للاستنكار - على نحو ما - من المجتمع، مما يؤدي به إلى الشعور بالوحشة الأمر الذي يخالف الطبيعة البشرية التي من أهم صفاتها الشعور بالانتماء إلى جماعة، ومن ثم فإن الشخص الذي يشعر بالعزلة في المجتمع ويسيطر عليه الشعور بالفشل يكون من السهل انجذابه تلقائياً إلى هذه الجماعات التي لن تكنفي بقبوله فحسب بل ستزوده بالوسائل والسبل التي تساعد على الانتقام من المجتمع الذي نبذه. (2)

وفي هذا الصدد نقول أن الطبيعة البشرية أو الإنسانية تتحمل قدرا هاما من المسؤولية فيما يتعلق بوجود العنف في الحياة الاجتماعية، حيث أن

الإنسان هو فاقد لشخصيته ومنقسم بين طبيعتين، فمن أجل تحقيق أهدافه وآماله يستخدم الفرد الوسائل العنيفة ومن أجل إحلال النظام تستخدم السلطة تدخلات رجال الأمن والعسكر أحيانا ومن أجل تحقيق العدالة الاجتماعية تلجأ بعض الجماعات إلى الانقلابات الدامية، أو إلى الإرهاب الدموي، ومن أجل نشر الديمقراطية تقام الحروب كما تفعل ذلك أمريكا في مناطق مختلفة من العالم، وهؤلاء الأفراد لديهم شعور بأنهم فوق القانون وأنهم نصبوا أنفسهم قضاة على الشعوب ويظهر هذا المعتقد في تبرير الجرائم والممارسات العدوانية البشعة استنادا إلى مبدأ القيام بممارسات عدوانية تجاه الآخرين.

تأسيسا على ما سبق ذكره فإنه يمكن القول أن الإنسان المعاصر بقدر ما لديه الرغبة في تحقيق العدالة بقدر ما لديه القدرة على الظلم، و بقدر ما لديه الرغبة في الوصول إلى النظام في المجتمع بقدر ما يملك القدرة على التخريب وخلق حالة

(1) عبد الجليل زيد المرهون، الإرهاب من منظور سوسيولوجي

<http://www.araee.com/modules.php?name=News&file=article&sid=22686>

(2) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع، ط 1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002 م، ص 26.

من الاستقرار والتوتر في المجتمع، وحسب وجهة النظر السابقة فإن الإنسان المعاصر هو السبب في خلق العدوان والعنف المنتشرين في العالم المعاصر بشكل رهيب، هذا الإنسان - وعلى الرغم من تمدينه ومحاولة ظهوره في صورة الإنسان المتحضر- لم يستطع التخلي عن طريقة تفكيره المتوحشة والموروثة التي سببها عدم تغير الطبيعة البشرية.

- الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه التتموي، وهو يحيل ظاهرة الإرهاب إلى جذور اجتماعية - اقتصادية، ويرى أن العلاقة بين التنمية والإرهاب تسير وفق معادلة صفرية، بمعنى أن صعود مؤشر التنمية يعني بالضرورة انخفاضا مقابلاً في مؤشر ظاهرة الإرهاب.

وحسب هذا الاتجاه فإن الإرهاب ليس وليد الصدفة، ولم تنشأ الحركات الإرهابية من فراغ، بل تضافرت عدة عوامل اجتماعية واقتصادية ساهمت بصورة معينة في نشأتها، حيث يباشر الإرهابيون أعمالهم الإجرامية لا لأنهم وجدوا اللذة في ذلك، ولكن لاعتبارهم تلك الممارسات العنيفة الوسيلة الوحيدة في نظرهم لمواجهة الشعور بفقدان العدالة الاقتصادية الاجتماعية وبروز الطبقة بشكل كبير ولنقمتهم على الأوضاع غير العادلة، وبالتالي تتولد لديهم الرغبة في تغييرها وتحقيق العدالة داخل المجتمع، فتكون وسيلتهم في ذلك العنف والمواجهة باستعمال أبشع الأساليب، وهذا ما أكدته دراسة تحليلية أعدتها لجنة تابعة لهيئة الأمم المتحدة عن الإرهاب عام 1979 م، حيث توصلت إلى أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأفراد في مجتمعاتهم هي من بين الأسباب والدوافع الكامنة وراء ممارستهم للأعمال الإرهابية.⁽¹⁾

إن الحرمان الاقتصادي كالفقر المدقع، والمتاعب الاقتصادية التي تمس بعض فئات المجتمع وما ينتج عنه من عدم المساواة نتيجة اتساع الهوة الاقتصادية بمعنى ثراء فاحش يقابله فقر مدقع، كلها تمثل دافعا قويا لممارسة الإرهاب.⁽¹⁾

كما قد يلجأ الأفراد للعمل الإرهابي نتيجة للتعارض الشديد بين الحاجة والرغبة في إشباعها، فيقومون بتنفيذ العمليات الإرهابية كهدف للحصول على أموال بمثابة فدية. وقد توفر المنظمات الإرهابية للأفراد فرص ملائمة للثراء السريع يتجه من خلالها نوو النفوس الضعيفة إلى ممارسة الأعمال الإرهابية لتحقيق أهدافهم وحاجاتهم، ونشير بهذا الخصوص إلى قضية المختطف الأمريكي باسم " كوبر " الذي اختطف طائرة تعود إلى شركة NORTH WEST ORIENT AIRLINE بعد احتجازه لطاقت الطائرة وهبط منها بمظلة واقية في 24 / 11 /

(1) عبد الناصر حريز ، الإرهاب السياسي: دراسة تحليلية ، ط 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1996 م ، ص

1981 م ومعه فدية تقدر بـ : 200 ألف دولار وكان ذلك في مدينة " سياتل " بولاية واشنطن. (2)

وفي هذا يقول ميشال كامدسيوس: Michel Camdessus: " إن ترك الفقراء هكذا بدون أمل ولا مساعدة إستراتيجية فإن الفقر سيؤدي إلى إضعاف المجتمعات عن طريق المواجهات والاضطرابات والعنف والفوضى المدنية ". (3)

إن الحرمان الاجتماعي الذي تعاني منه بعض فئات المجتمع قد يؤدي إلى نوع من العزلة والإحباط يفرضهما المجتمع على تلك الفئات في أماكن محددة مما يولد لديها الشعور بالاغتراب، وأمام هذا الوضع تلجأ تلك الطوائف أو الفئات إلى تشكيل مجموعات تمارس أنشطة إرهابية سعياً منها إلى تغيير تلك الأوضاع المتردية .

-
-
-
- (1) بليشنكو وزادانوف ، الإرهاب والقانون الدولي ، ترجمة : المبروك محمد العويصي ، ط 1 ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، 1994 م ، ص 35 .
- (2) فهد الساكت ، موسوعة أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ، ط 1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2000 ، ص 21 .
- (3) شفيقة سرار ، مرجع سابق ، ص 54 .

تدل الدراسات السوسيولوجية التي أجريت على أعضاء الجماعات المتطرفة الإرهابية على أن الغالبية العظمى منهم هي من الشباب ومن الطبقات الدنيا والمتوسطة ، ومن المناطق الأكثر حرماناً مثل الريف والأحياء الشعبية الفقيرة الذين يعانون من البطالة أو انخفاض الدخل، والعجز عن توفير متطلبات الحياة الضرورية وكذلك عن العجز في إيجاد حلول لمشكلاتهم ورفضهم الانغماس في أنشطة مضادة لقيمهم الدينية كالفساد والرشوة والإدمان،⁽¹⁾ مما يخلق

لدى هذه الفئات حالة من الإحباط تقودهم إلى الاتجاه نحو العمل الإرهابي لتغيير واقعهم، لهذا سنحاول التركيز على حالة الإحباط التي تخلقها الظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة التي تعيشها بعض فئات المجتمع.

هناك من أرجع انتشار ظاهرة العنف الإرهابي في المجتمع إلى عوامل اجتماعية واقتصادية عديدة، نجد من بينها ازدياد معدل البطالة في المجتمع خاصة أن العمل يعتبر المصدر الذي يضمن به المواطن وسائل عيشه، كما أنه شرط للاستفادة من حقه في أخذ حصته من الدخل الوطني، غير أن أزمة البطالة تجعل عددا كبيرا من المواطنين لا يحصلون على هذا الحق، فيما تتمتع فئة قليلة فقط برفاهية الحياة نظرا لحصولها على أكبر نسبة من دخل البلاد من الموارد الطبيعية مما يخلق حالة من غياب العدالة الاجتماعية، الأمر الذي يدفع بعض الأفراد إلى التعبير عن رفضهم لهذا الواقع من خلال الفعل الإرهابي .

يقوم التضامن بين الفئات التي تجمعها وحدة المصير والهدف وتتحد فيما بينها لمواجهة الفئات المميزة والقوية والتي تراها مجسدة في النظام، فسوء استعمال موارد الدولة وخيراتها والتوزيع غير العادل لأموال الدولة على الفئات الشعبية كل ذلك يدفع إلى العنف الإرهابي.⁽²⁾

(1) أحمد أبو الروس ، الإرهاب والتطرف والعنف في الدول العربية ، ط 1 ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 2001 م ، ص ص 18 ، 19 .

(2) أحمد أبو الروس ، مرجع سابق ، ص 19 .

ارتبطت الأسباب الاقتصادية بالعنف من خلال عدم العدالة والمساواة بين الجماعات المختلفة في المجتمع وهي تفترض انه كلما زاد الإحساس بالظلم يؤدي إلى تزايد حدة أساليب الاضطراب والمظاهرات والاحتجاجات، كما أن إخفاق

مخططات التنمية وانتشار الفقر والبطالة وتدني مستوى المعيشة وسوء توزيع الثروة وانهيار قيمة العمل وتدني الإنتاجية تدفع باتجاه الشعور بالإحباط وتوفر البيئة الملائمة للعنف.

وقد أظهرت العديد من الدراسات وجود علاقات طردية بين عدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية والعنف أي كلما زادت درجة عدم المساواة زادت حدة العنف وتشير الدراسة التي أجراها ميلر عام 1985 على 56 دولة خلال فترتين مختلفتين (1967-1985) و (1968-1977) تأكيد العلاقة الطردية لهذه الظاهرة.⁽¹⁾

تؤدي الأزمة الاقتصادية إلى ازدياد معدل البطالة والتضخم وغلاء الأسعار وبالتالي تزداد حدة التفاوت الطبقي خاصة مع ظهور الطبقة الطفيلية التي أثريت ثراء فاحشاً، وسريعا دون جهد أو إسهام في الإنتاج الوطني للدولة، وبهذا تتعكس آثار هذا الخلل الخطير على الشباب وتنشأ تربة صالحة للتطرف تزود الجماعات المتطرفة بأعضاء يعانون من الإحباط وافتقاد الشعور بالأمان والأمل في المستقبل فيقعون بسهولة فريسة الانقياد لأوهام الخلاص . يمثل الفقر إذن والحاجة المادية الملحة وعدم المساواة في توزيع الموارد والثروة وانتشار الوعي بهذه السلبيات وبالفوارق الشاسعة الحاصلة في المجتمع، دافعا قويا نحو ممارسة الإرهاب وتوسيع القائم منه بهدف التخلص من تلك الأوضاع، فالإحباط الذي يشعر به هؤلاء الفقراء الذين أفرزتهم الأزمة الاقتصادية والتي انعكست بدورها على الواقع الاجتماعي للأفراد الفقراء، يرى العديد من الباحثين أن الدافع إلى هذا السلوك الإرهابي، وأن شعور المستضعفين من أفراد المجتمع بالحرمان هو الذي يدفعهم إلى هذا السلوك.

رغم تعدد أخطار المجتمع الجديد " مجتمع الخطر " والتي أشار " بيك " إلى ضرورة انتقادها، فإن أكثر الأخطار أهمية في العالم هي مشكلة اللاأمن

(1) هشام الحديدي ، مرجع سابق ، ص 57 .

الاجتماعي لكثرة ما نشاهده ونقرؤه اليوم عن نسبة الفقر المتفاقمة وظاهرة البطالة وما تؤدي إليه من عدم استقرار الفرد والمجتمع على حد سواء. (1)

يمكن القول أن الإرهاب يحدث نتيجة حالة الإحباط التي تصيب بعض الأفراد في المجتمع والناجمة عن التفاوت الحاصل بين فئات هذا المجتمع، حيث توجد فئة تسعى إلى إقامة المساواة بين أفراد المجتمع وفئة أخرى تسعى إلى الاحتفاظ بالامتيازات و المكاسب التي تتمتع بها، وهنا لا بد أن تصطدم إرادة المساواة بإرادة دعاة التفاوت، فتلجأ الفئات التي تشعر بالحرمان إلى الأسلوب الإرهابي العنيف محاولة منها للحصول على حقوقها التي سلبت منها.

بالإضافة للعوامل السابقة الذكر والتي من شأنها أن تخلق الإرهاب أو تساهم في تفشيه نجد بعض أعمال وممارسات السلطة التي يمكن أن تكون سببا في تحول بعض الأفراد نحو العمل الإرهابي، بحيث تكون مثل هذه الأوضاع دافعا لبعض فئات المجتمع لتشكيل منظمات إرهابية تتاهض السلطة القائمة، حيث يعتبر ظلم واستبداد السلطة الحاكمة وخروج الحكام عن حدود الصلاحيات المخولة لهم دستوريا من بين الدوافع المحورية للعديد من الحركات الإرهابية عبر مختلف الفترات المتعاقبة في مختلف دول العالم.

إذ يقرر بعض الحكام أن القوانين الدستورية وأجهزة القضاء والتشريع التي تشمل مجالات الحياة المختلفة عاجزة على فرض النظام الذي يسعون إلى تحقيقه، وعلى توجيه الدولة والمواطنين في الاتجاه الذي يرسمونه لها، وبالتالي تلجأ الأقلية الحاكمة التي تتولى السلطة إلى اتخاذ إجراءات تعسفية لفرض النظام دون الرجوع إلى أية سلطة مؤسسة أو تشريعية، ونتيجة لهذا الوضع لا يبقى أمام الشعب أية إمكانية حرة للاختيار والتقرير، فهذا لا يستطيع أن يقبل سلطة مفروضة عليه من خارج سيادته وإرادته، كما أنه لا يستطيع أن يرفض هذا الوضع طالما أن وسائل الحكم القمعية تحول دون أي إجراء شرعي وديمقراطي،

(1) محمد الأطرش وآخرون ، مرجع سابق 1999، ص322.

وعندما تهدد كيان ومصير الحريات لا يسعها إلا أن تلجأ إلى نفس الوسائل باتخاذ العنف الإرهابي وسيلة لتحقيق الوجود والكيان لأن العنف يولد العنف والإرهاب يولد الإرهاب المضاد.⁽¹⁾

يمكن أن نعتبر الإرهاب الكامن عند فئات ليست قليلة في المجتمع من أخطر الكوارث البشرية التي تواجه العالم المعاصر. فبعد أن انتفت الحاجة للجانب العسكري للإرهاب بانسحاب السوفييت من أفغانستان وانهيار النظم الشيوعية في أوروبا الشرقية كان الإرهاب الكامن قد تسيد وجدان ملايين الناس نتيجة ما أفرزته تلك الأوضاع من أشخاص أصبحوا مدربين بل ومهيئين للعمل الإرهابي من جهة، بالإضافة إلى انتفاء قيم العدالة والمساواة على المستوى العالمي بسبب الأحادية القطبية وانعكاس ذلك على المجتمعات المحلية من جهة أخرى .

الإرهاب الكامن إذن هو تلك المنظومة من المشاعر والرؤى القائمة على تعبئة منهجية شمولية تحدد ليس فقط معايير المعتقد بل تمتد إلى شكل التصرفات والسلوك والمظهر، لا بد من الاعتراف بان مثل هؤلاء الناس موجودون وبكثرة والمسافة التي تفصلهم عن الإرهاب كما هو في مخيلة الناس أي القتل والتدمير هذه المسافة لا تزيد على طول رصاصة، فمن أجل ذلك ترتفع الأصوات أكثر فأكثر وعلى لسان العديد من المسؤولين وقادة الرأي بعدم اقتصار مواجهة الإرهاب على الجانب الأمني مع ما لهذا الجانب من أهمية في حماية أرواح الناس واستتباب الأمن واستقرار أوضاع البلاد.⁽²⁾

(1) أدونيس العكرة ، الإرهاب السياسي : بحث في أصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية ، ط 1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1983 م ، ص 93 .

(2) حمد الباهلي ، المسافة بين الإرهاب الكامن والإرهاب ،

إن الإرهابي الذي يفجر نفسه أو يفجر الآخرين – مثلا – ليس سوى فتيل لمشاعر عريضة كامنة لدى فئات واسعة أخذت قدرا كبيرا من الفكر الإرهابي ولم تصل بعد إلى مواقع الفعل أو المؤازرة أو التعاطف الايجابي، على مدى أكثر من ربع قرن ونتيجة لأسباب سياسية محلية وإقليمية ودولية ميزتها مظاهر الظلم والاضطهاد والإقصاء على كافة المستويات، انفرد نوع من التفكير الأحادي الجانب بالساحة الإسلامية وهيئت له كافة السبل المادية والمعنوية وصولا إلى دعم تطوره المنطقي عندما باشر عملياته العسكرية في أكثر من مكان.

2-2-2 أسلوب عمل الجماعات الإرهابية

تتعدد الوسائل والأساليب التي تلجأ إليها المجموعات الإرهابية لتحقيق أهدافها، كما تتطور تلك الأساليب وتختلف باختلاف المكان والزمان وباختلاف الامكانيات والقيادات وتتفاوت بتفاوت الأهداف والتنظيمات من حيث الحجم والتنظيم والتخطيط والدقة التي قد تتوفر جميعها أو بعض منها، ولا يعني هذا بأي حال من الأحوال أن الإرهاب يقف عند حدود هذه الأساليب التي سنذكرها لاحقا .

إن الأمر أكبر من ذلك وأوسع، حتى أن أحدا لا يستطيع أن يتكهن بما يمكن أن يحمله مستقبل الإرهاب من مفاجآت قد تكون مذهلة في الوسائل والأساليب فلا أحد كان يتوقع أحداث 11 سبتمبر 2001 م التي عصفت بمبنى التجارة العالمي في نيويورك ومبنى البنتاغون في نيويورك، حيث تمت العمليات بأسلوب إرهابي يعجز صاحب الخيال الواسع على تصوره .

ومن المفيد أن نوضح أن علماء الاجتماع السياسي يميزون بين ثلاثة أنواع من أشكال العنف من حيث أساليب ممارسته وهي: الإرهاب وحرب العصابات، وأخيرا الانقلاب . ويرى علماء السياسة بأن الإرهاب ينطوي على

مظاهر متعددة فهو يتضمن الاغتيال والخطف وأعمال التفجير وهو يهدف إلى بث الفوضى الاجتماعية والارتباك النفسي لدى أفراد المجتمع " .

تعتمد الجماعات الإرهابية عادة أسلوب الاختطاف واحتجاز الرهائن كوسيلة لتحقيق أهدافها، ويستند مفهوم الاختطاف على مفهوم الاحتجاز أو أسر شخص في مكان سري يسمى بالبيت الآمن، ويستهدف هذا الأسلوب الأشخاص بمختلف انتماءاتهم سواء كانت سياسية أو غير ذلك، ويهدف الإرهابيون من وراء ذلك إلى تحقيق أهداف دعائية للمبادئ التي يعتقدونها، وعادة ما يكون ذلك مقترنا بطلب الحصول على فدية مالية، كما ينصب هذا الأسلوب على الشخصيات العامة ورجال الشرطة، والدبلوماسيين، والمشاهير حتى وإن كانوا بعيدين عن السياسة، وهذا بغرض المساومة بهم في إطلاق سراح من قبض عليهم من العناصر الإرهابية⁽¹⁾.

كما يلعب هذا الأسلوب دورا مهما في تحقيق أهداف الإرهابي ومكاسبه الشخصية عن طريق استغلال حياة الرهينة للضغط على الجهة المعنية لتغيير وجهة نظرها والتأثير عليها ومساومتها، ويعتبر هذا الأسلوب من بين الأساليب الإرهابية الأكثر شيوعا، ويعني سلب الفرد أو الضحية حريته باستخدام أسلوب أو أكثر من أساليب العنف والاحتفاظ به في مكان ما يخضع لسيطرة وحماية ورقابة المختطفين تحقيقا لغرض معين.⁽²⁾

ويؤكد الباحثان كرليستن وزابو أن اختطاف الرهائن واحتجازهم ظاهرة إجرامية ترمي إلى الابتزاز والحصول على الأموال أو تحقيق أهداف سياسية أو

(1) وليد أمين رويحة ، الإرهاب وأخذ الرهائن في الشرق الأوسط ، ترجمة : عفيف الرزام ، ط 1 ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، 1990 م ، ص 368 .

(2) أحمد فلاح العموش ، أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب ، الندوة العلمية لمكافحة الإرهاب ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، 1999 م ، ص 14 .

نفسية، ويشرح كتاب أصدرته وزارة الداخلية الفرنسية بعض المفاهيم المتعلقة باحتجاز الرهائن، فيضيف رؤية تحليلية عندما يميز بين الضحية السلبية والضحية الإيجابية حيث يعني المفهوم الأول (الرهينة) أو المجني عليه الثانوي، بينما يشير المفهوم الثاني إلى الطرف الذي توجه إليه عملية الابتزاز أو المجني عليه الرئيسي، والضحية الإيجابية كما يتضح هي العنصر الوحيد الذي يستطيع تلبية طلبات المختطفين، وإذا ما تم رفض مطالبهم يبرز عامل جديد يطلق عليه (العلاقة بين الضحايا) .

بالإضافة إلى العناصر السابقة فإن قضية الرهائن يمكن أن تجر أطرافاً أخرى لا شأن لها بالقضية كالمارة مثلاً، كما يمكن للمختطفين استدعاء الصحافة الأمر الذي يترتب عليه جذب اهتمام الآخرين، كذلك تدخل رجال الشرطة حيث تفتح أمامهم عند مواجهتهم حالة اختطاف عدة احتمالات منها القيام بالاتصال الأولي مع المختطفين ثم الاتصال برؤسائهم والمبادرة باحتواء المواقف أو يمكن المماثلة لكسب الوقت حتى وصول المساعدة من الجهات الأمنية .

أما فيما يتعلق بطبيعة سلوك الرهائن، فإن دراسة لردود أفعالهم تبين أن أمامهم ثلاثة بدائل، أولاً محاولة إنهاء الاختطاف من غير مساعدة عبر الفرار أو المواجهة أو محاولة إقناع المختطفين بإطلاق سراحهم والاستسلام، وتتصح الجهات الأمنية المختصة بعدم اللجوء إلى هذا السبيل لأنها تتطوي على كثير من الأخطار، والبديل الثاني يتمثل في ادعاء الرهينة المرض مما يتطلب العلاج السريع ويؤدي مثل هذا النوع من ردود الفعل إلى إدخال عنصر جديد مسرح الجريمة وهو مطالبة المختطفين بالمساعدة الطبية وأخيراً يوجد رد فعل للرهائن يتسم بالانحياز إلى المختطفين⁽¹⁾.

(1) رونالد كرليستن، دنس زاو، احتجاز الرهائن، عرض وتلخيص، محمد يوسف برهان، مجلة الشرطي، عدد 11، فيفري - مارس 1999م، ص 59.

ويقسم الاختطاف إلى قسمين هما، اختطاف الأفراد، واختطاف الطائرات حيث يعتبر اختطاف الأفراد من بين الأساليب الإرهابية الأكثر شيوعا والتي تمارسها معظم التنظيمات الإرهابية في مختلف العالم، واختطاف الأفراد يعني سلب الفرد أو الضحية حريته باستخدام أسلوب أو أكثر من أساليب العنف والاحتفاظ به في مكان ما يخضع لسيطرة وحماية ورقابة المختطفين تحقيقا لغرض معين.

وتكمن وراء عمليات الاختطاف الكثير من الدوافع، فمنها المادية وهذا لتغطية الحاجة المتزايدة للتمويل اللازم لمواجهة متطلبات الأنشطة المتزايدة لهذه المن؟مات ومنها أيضا الدوافع والاعتبارات السياسية وهذه الدوافع تشكل الغالبية العظمى من دوافع اختطاف وأخذ الرهائن.

كما قد يكون الدافع عقاديا أو أن يكون المختطف مختلا عقليا، حيث حدثت حالات كثيرة لاختطاف الطائرات ناتجة عن إصابة الخاطف بخلل عقلي أو اضطراب عاطفي، ونذكر على سبيل المثال قيام امرأة في 11 مارس 1972م باختطاف طائرة إيطالية كانت في طريقها من روما إلى ميلانو، وقد أكرهت قائد الطائرة بالتوجه إلى ميونيخ ثم استسلمن بعد هبوط الطائرة وظهر أنها مصابة بخلل عقلي.⁽¹⁾

وتتمثل هذه الدوافع بصورة أساسية في:⁽²⁾

- تحقيق صدى شعبي واسع لقضية الإرهابيين.
- ممارسة الضغط على الدول والحكومات المعنية للاستجابة إلى مطالب الإرهابيين.
- إرغام بعض الدول على التراجع عن قرار أو سياسة ما تتعارض ومصالح المجموعة الإرهابية.
- التأثير على مواقف بعض الدول تجاه القضايا التي يعمل من أجلها الإرهابيون.

- (1) صور ووثائق وشهادات تنشر لأول مرة حول قضية طائرة الأيرباص الفرنسية ، يومية الخبر (الجزائر) ، العدد 3468، السنة الحادية عشرة ، 9 ماي 2002، ص13.
- (2) عبد الناصر حريز، مرجع سابق ، ص ص 43، 44.

- إلزام دولة ما بالضغط على دولة أخرى لاتخاذ مواقف مرنة تجاه مطالب الإرهابيين.
 - إرغام منظمة دولية حكومية أو شخص أو مجموعة من الأشخاص على القيام بفعل معين أو الامتناع عن القيام به.
- أما اختطاف الطائرات فيشير إلى الاستيلاء على الطائرة أثناء تحليقها في الجو عن طريق اللجوء إلى التهديد باستخدام وسائل العنف وإجبار طاقمها على تغيير وجهة سيرها والتوجه نحو مطار آخر محايد أو صديق للمختطفين وذلك بقصد عقد صفقة والحصول على تنازلات مقابل الإفراج عن المختطفين والطائرة، ولقد شهدت العقود الأربعة الماضية من هذا القرن تزايدا لحالات اختطاف الطائرات وذلك للأسباب التالية:⁽¹⁾
- زيادة وانتشار نطاق استعمال وسيلة النقل الجوي.
 - التقدم الفني الكبير الذي شهده ميدان النقل الجوي الأمر الذي أدى إلى اختصار المسافات الشاسعة إلى عدة ساعات أو حتى بضعة دقائق.
 - التقدم الفني لوسائل الاتصال ووسائل الإعلام المختلفة مما يجعل من اختطاف الطائرات وسيلة لنشر القضية بالإعلام على أوسع نطاق، حيث يطرح "جان بوديار" السؤال التالي: ما الجديد في ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية إذا لم يكن الإرهاب جديد على البشرية؟، ولماذا أحدث كل هذا الارتباك والخوف وردود الفعل؟. ثم يجيب قائلا: الجديد لا يمكن

في الشكل الذي نفذت به العمليتين بنيويورك وواشنطن، ولا في الأهداف والخسائر المادية والبشرية، بل كون الحقيقة الرهيبة التي وقعت أضافت لها الصورة القاتمة - ونحن في عصر الإعلام - صدمة أكبر، وكانت الصورة

(1) أحمد فلاح العموش، مرجع سابق، ص ص 14، 15.

- أكثر تأثيراً من الحقيقة نفسها، لأنها كانت طويلة أسابيع تتكرر أمام أعين البشر الذين في أغلبهم لم يروا الحقيقة مباشرة، وهذا ما سماه "بوديار" العنف الرمزي، حيث يعتبر أن يوم 11 سبتمبر 2001 هو تاريخ العنف الرمزي⁽¹⁾.

- استمرار بقاء بؤر التوتر السياسي قائمة في أجزاء كثيرة من العالم ومن ثم اللجوء إلى ارتكاب مثل هذه الجرائم كوسيلة من وسائل الضغط السياسي.

وقد وصلت معدلات اختطاف الطائرات في أواخر الستينات وأوائل السبعينات إلى أشبه بالوباء وأصبحت تشكل مشكلة خطيرة وتهديدا كبيرا لأمن الركاب بأكثر مما يمكن تحمله. وفي سياق حديثنا عن اختطاف الطائرات، نورد رأي العلامة "محمد حسين فضل الله" حيث قال: "أن الخطف هو أسلوب تعلمه الشرقيون من الغرب، فنحن نجد أن الفرنسيين خطفوا طائرة (أحمد بن بلة)، كما أن اليهود خطفوا عدة أشخاص من النازيين"، أي أن اختطاف الطائرات ظاهرة لم تتبع من الشرق بل صدرت إليه من الغرب *⁽²⁾.

كما تلجأ إلى أسلوب التخريب وهذا باستخدام القنابل وزرع المتفجرات، وهذا الأسلوب يعد من أقدم الأساليب الإرهابية وأوسعها انتشاراً، وقد استخدم الإرهابيون هذا الأسلوب منذ القرن التاسع عشر، كما يلجأ الإرهابيون إلى

إتباع هذا الأسلوب على نحو متسع النطاق نظرا للعديد من الاعتبارات منها سهولة الاستخدام وسهولة الحصول على المتفجرات سواء عن طريق سرقتها من مصانع إنتاجها

1) فوزي سعد الله جان بوديار، 11 سبتمبر 2001 هو يوم ميلاد العنف الرمزي، جردية السفير، العدد 93، الجزائر، من 14-17 مارس 2002، ص 23.

* ظهر السفير السابق لإسرائيل لدى الأمم المتحدة "بنيامين نتنياهو" (رئيس الوزراء الحالي) على شاشة التلفزيون الأمريكي متهما منظمة التحرير الفلسطينية بابتداع خطف الطائرات. ولم يمض على ذلك وقت طويل، حينما أقدم سلاح الجو الإسرائيلي بتاريخ 04 فيرفري من عام 1986، على ارتكاب حادثة قرصنة جوية أخرى وذلك بإرغام طائرة ليبية صغيرة كانت نقل عددا من كبار المسؤولين السوريين على الهبوط في إحدى القواعد العسكرية الإسرائيلية. وهذه الحادثة أيضا لا يوجد لها أي ذكر في الكتابات السائدة عن الإرهاب.

2) ثامر إبراهيم الجهماني، مفهوم الإرهاب في القانون الدولي، دراسة قانونية ناقدة، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2002. ص ص 72، 74.

أو من المعسكرات، أو عن طريق صناعتها وإنتاجها بأيدي مدربين من الإرهابيين، هذا فضلا عن كفاءة استخدامها وردود الفعل الناجمة عن استخدامها، حيث الدوي الهائل وصوت الانفجارات المرعب يحقق للإرهابيين فرصة لإحداث التأثير النفسي المطلوب.)

ويعتبر الاغتيال من أهم الأساليب التي يستخدمها الإرهابيون لتحقيق أهدافهم من خلال الضغط على الحكومات، ويقصد به التصفية الجسدية لرجال الأمن والسياسيين ورجال الإعلام بقصد بث الرعب والفرع في المجتمعات. ومن أشهر الاغتيالات السياسية في العالم نورد ما يلي: (1)

- أوت 1949م: أطلق الجيش السوري الرصاص على الرئيس "حسني الزعيم".

- جويلية 1951م: اغتيال الملك "عبد الله" ملك الأردن في القدس.

- جويلية 1958م: مصرع الملك "فيصل" ملك العراق في انقلاب عسكري.

- نوفمبر 1963م: اغتيال الرئيس "جون كنيدي" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في "دلاس" بـ "تكساس".
- مارس 1975م: اغتيال الملك "فيصل" ملك السعودية من طرف ابن أخيه الأمير "فيصل بن مساعد بن عبد العزيز".
- أبريل 1978م: مصرع الرئيس "محمد داود" رئيس أفغانستان في انقلاب.
- أكتوبر 1979م: اغتيال "بارك شونغ هي" رئيس كوريا الجنوبي.
- أوت 1981م: مصرع الرئيس الإيراني "محمد علي رجائي" ورئيس الوزراء "محمد جواد باهونار" إثر قنبلة في طهران.
- أكتوبر 1981م: اغتيال الرئيس "أنور السادات" رئيس مصر.
- أكتوبر 1984م: مصرع "أنديرا غاندي" رئيسة وزراء الهند على يد ضباط من حرسها.

1) ايريك موريس، آلان هو، الإرهاب التهديد والرد عليه، ترجمة: أحمد حلمي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991، ص 39.

- جوان 1992م: اغتيال الرئيس الجزائري "محمد بوضياف".
- نوفمبر 1995م: اغتيال "اسحاق رابين" رئيس وزراء إسرائيل على يد طاب إسرائيل.
- 1997م: محاولة اغتيال "خالد مشعل" في الأردن من قبل عناصر الموساد الإسرائيلي.

2-2-3 أهداف الجماعات الإرهابية من وراء الفعل الإرهابي

لقد اختلف المفكرون المهتمون بدراسة الإرهاب حول أهداف هذه الظاهرة تماماً كما اختلفوا حول جوانبها الأخرى، ولذلك سنورد تقسيمين لأهداف الإرهاب ثم نحاول أن نقدم تقسيمنا الخاص.

2-2-3 الأهداف الرئيسية

يقسم البعض أهداف الإرهاب إلى أهداف رئيسية وتتمثل في الأهداف الصعبة، كالمباني لالحكومية وتخريب وهدم والاستيلاء على السفارات أو أبنية المؤسسات وبها أبرياء يحتجزون كرهائن، وكذلك عمليات خطف الطائرات وعمليات خطف أو اغتيال المشاهير وذوي الأهمية السياسية كالدبلوماسيين، أو الأهمية الاجتماعية، هذا ومن بين الأهداف الرئيسية لهجمات الإرهابيين ضد الدبلوماسيين إثبات ضعف الحكومة المضيفة وعجزها أو إجحامها عن الوفاء بالتزاماتها ومسؤولياتها.

2-2-3 الأهداف الثانوية

أما الأهداف الثانوية أو الأهداف السهلة، فتتمثل في الأشخاص المدنيين والبوليس المحلي والمخازن والأسواق، وهذا عادة ما يعتمد على أسس جغرافية كالأفراد الموجودين في إطار محصور (مسرح، أو سوق، أو متجر، أو طائرة، أو... الخ).

وهؤلاء هم الضحايا من الدرجة الثانية. أما الضحايا من الدرجة الأولى فهم المواطنون، حيث يكونون هدفاً للتهديد من خلال التأثير عليهم بواسطة أجهزة الإعلام⁽¹⁾.

كما تتجه أهداف الإرهابيين نحو المرافق التالية، السفن خاصة ناقلة الركاب والمباني العامة والمصانع، محطات الكهرباء والماء، مصافي البترول، علماء الأسلحة والذرة، وشبكات الهاتف، والإرهابيون يقومون بمهاجمة أي مكان، حيث لا تمنعهم الحدود الدولية ولا سلامة الناس الأبرياء وهم يكرسون جهودهم لارتكاب أي نوع من الجرائم يعتقدون بأنه يصب في صالح قضيتهم⁽²⁾.

كما يقسم البعض أهداف الإرهاب إلى أهداف مباشرة، وأخرى غير مباشرة وهي نفس الأهداف المذكورة آنفا فقط الاختلاف في اسم التصنيف. بعد استعراضنا للقسمين السابقين لأهداف الإرهاب، رأينا أن يكون تقسيمنا كالتالي:

_____ **الهدف الحقيقي** : وهو الهدف الأخير الذي يسعى الإرهابيون إلى تحقيقه، وما من شك أن هدفهم هذا يتمثل في الوصول إلى السلطة وتغيير النظام، غير أن الوصول إلى هذا الهدف لابد أن يتم بواسطة استهداف أهداف أخرى لابد من تحصيلها حتى يتحقق الهدف الحقيقي . هذه الأهداف يمكن تسميتها بالأهداف الرمزية .

_____ **الأهداف الرمزية** : وهي الأعمال الإرهابية التي ينفذها الإرهابيون ضد ضحاياهم الأبرياء الذين أوقعهم حظهم السيئ في شرك الأحداث بقصد بث الرعب أو الخوف أو الفرع بين أفراد المجتمع – وهو موضوع دراستنا – من أجل الوصول إلى تحقيق هدفهم الحقيقي.

(1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، مرجع سابق ، ص ص 57، 58.

(2) حسن رحمة أحمد، الإرهاب، مجلة الشرطي ، مجلة شرطية ثقافية شهرية، العدد الثامن، نوفمبر، 2000، ص 53

خلاصة

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى القول بأن أولريش بيك قدم رؤية جديدة لظاهرة الإرهاب عندما صنفها ضمن مصادر الخطر التي تهدد مصير البشرية

في المجتمع العالمي المعاصر الذي أطلق عليه مصطلح "مجتمع المخاطرة" ،
فيما سماه كاستيل وهو أحد أتباع بيك "مجتمع الكارثة" باعتباره - أي المجتمع
- هو في مواجهة دائمة مع كوارث عديدة ومختلفة تأتيه من كل الجهات .

إن المنهج الدقيق الذي صار يتبعه الإرهابيون في تنفيذهم لعملياتهم
الإرهابية وبصورة أخص السيارات المفخخة والعمليات الاستشهادية التي أصبحت
تمثل آخر ما توصل إليه هؤلاء الأشخاص من تطور في رؤيتهم لصورة العالم
المعاصر، تجعلنا ننظر إلى كل ذلك في إطار " منظومة فكر إرهابي " أصبحت
تشعرنا فعلا بخطر الإرهاب الذي تحدث عنه بيك، بمعنى آخر ما يحدث من
إرهاب مادي كالقتل والتدمير أو إرهاب معنوي كالتهديد والوعيد، ليس سوى
نتيجة لعملية تعبئة منهجية تبدأ بالأفكار وتمتد إلى كل تصرف يسلكه الفرد
والجماعة، ممن تغذوا من الفكر الإرهابي بمصادره المختلفة، والموجه نحو
أهداف محددة قد تكون أفرادا أو مؤسسات أو حكومات .

لا تتشكل ظاهرة الإرهاب من فراغ وإنما هناك عوامل عديدة تتشابك فيما
بينها لتساهم في بروز الظاهرة، ولعل ذلك التغيير الذي عرفه المجتمع الجزائري
مع بداية القرن العشرين على مستوى الحركة الإسلامية هو الذي يمثل هيكل
بنية الظاهرة الإرهابية من خلال بداية تشكل الفكر الإرهابي في الجزائر، وهو
ما سنتناوله بالدراسة في الفصل الموالي .

